

نماذج قصصية بأسلوب أدبي

نماذج قصصية بأسلوب أدبي

نافذة على دنيا الرجال والجواري

تأليف: عياد زويرة

2014-2013

- تقديم الأستاذ الباحث " محمد مفلاح " :



بسْمِ اللهِ، والحَمدُ للهِ وكَفىٰ والصَلاةُ والسلاَمُ علَى النَبِي المُصْطفَى



كلمَـــــة :

قصصٌ فيه عبر، لم أجد له إلا ذاك العنوان المحيّر، بل إني أهديه خاصة إلى محترفي علم نفس الشخصية، حيث سيتذوق هؤلاء ويتمتعون حين الكشف عن سمات كل شخصية، وعن صفاتها.
إنها ببساطة شخصيات قد تصادف في الواقع، أهديها إلى علماء وهواة علم النفس.

***

وهذا كله من بـــركة الفراسة، التي قد يبلغ بها المرء أغوار النفس، لا للترفة الفكرية، ولا أحسبها لإرضاء نزوة ذاتية... بل لأجــل أن يحسن الإنسان تعامله مع أفــراد جنسه. مع ما يعلم منْ أنَ لكل منهم مفاتيح خاصة، ومن حصلها جميعا سعد في علاقاته القريبة والبعيدة، ونـــجح في اتصاله وتواصله. وعرف أن سياسة البشر لا تــقوم – برأي العارفين – إلا بثلاث خصال، هي :

الحلم
الحزم
السخاء

أما عدا هذه فهي فظاظة وغلظة، ولبس المنصب، والرويبضة.

عياد زويرة
17-10-2011/// 2013

الجَاريـــَــةُ الأوْلَى

لقد أنشأ من ماله الخاص معروفا، وأوقف نفسه وراء مشروع ضخم، هو ادّعاء الخير والحب للناس. فتدفق كرمه، وتعالى كعبه حتى غدا ذا قامة بيننا في الكرم.

كان يظهر بمظهر الطبيب الماهر، فيتحتم عليك أن تعرف له قدره، وأن تمتثل الأدب لشيبه...

وكان يعرف هذا في أصحابه، فيقفز ما وقر في قلبه على لسانه، ويتلفظ في سرعة بما كان يُجهد النفس على التحفظ به.

وهو منْ هو في تلميع النفس بالتواضع والثقة؟ ولكنْ.. ولأن الرجل يحن لجاهليته، وهو من الأعراب بمكان، كان يُتعب النفس في طلب المحال.

فقد كان يتبع أثر الرُويبضة، يريد الرفعة والجاه، وجاءه ما أراد، فسرعان ما تعالى بنيانه، وظاهرت عليه أهواء أمثاله، وهو كغيره:

" الذئب يكنى أبا جعدة "

***

الجَاريـــــَـةُ الثانية

أجمعوا على مكانته، وأشادوا بأثره، حتى صار إمام عصره، وواحد دهره. بل قالوا في شأنه : إنه قد برع براعــــة فاق بها أقرانه، ولم يلحق به أحد ممّن تقدمه، فقد ثقف علما في الحليب ومشتقاته، وألم بشتاته، ثم تحول من ذلك إلى مُدرس؟



إنه ببساطة أحد المهرة، وسمته وصفة ناذرة، إنه كما علمته يبذل الجهد في شرح أفكاره، ويُشَرق ويُغَرب لأجل بسط بيانه، ولكنْ.. مع ذلك لا تستطيع أن تستبين كلامه، ولا أنْ يعْلق بخلدك شيء مما قاله. فقد يستعين بيديه، وتقاسيم وجهه بين الحين،بل قد يبلغ به الأمر مرات أن يُؤدي لك الفكرة حراكا كما ارتسمت على مخيلته. ومع ذلك كله تتحمس لأن تصرخ في وجهه بشعر للمتنبي:

وليس يصح في الأفهام شيء* إذا احتاج النهار إلى دليل**

***

الجاريـــــــة الثالثة

سأل : لعل الكرب الذي أمسيت فيه يكون له فرج؟
فأجابه: لا أمّ لي إنْ كان ذلك ولا أبٌ
عاود : ما لي أراك للتشاؤم أقرب، وفي الناس أدبٌ وأبدالٌ خُلق ؟
فصرّح: بئس الرفيق الثعلب، أفضل خلْواته بك يُنافق لوما الصبر لفاض أكثر ما أجدُ.



- تعجب: زيدٌ .. الراكعُ، الساجدُ، الذاكرُ ؟؟؟

- فابتسم : وكذلك قال الغريق المُبعد : الآن قد آمنتُ...

- استفسر: قد فهمتُ، وبشارُ؟ وفرزدقُ ؟ ومشّاءُ ؟

- تلفظ : أولائك في الدرب أعوانُ، ورفاقُ الذنَب أذناب "

فكنْ أكيس الكيسى إذا كنت فيهم* وإنْ كنْت في الحمقى فكنْ مثلَ أحمق"**

***

الجاريـــــــة الرابعة

جهير بالمساوئ، زاهد في المناقب، يريد أن يُشعرك منْ وراء دفئه بأنه الأحرص على حاجتك، الساهر على خدمتك ..

وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفـــواه**



بل كان في نفسه أنه وحيد في العلم والتدبير، لا يحفل بصريف ولا بضريس، لا بصاحب كعب ولا بقصير قامة.

كان ألين من اللين، أنصح من إبليس.. صاحب هوى، يستولي على كلام مُجاليسه بما عَرف أنه الأرْوق والأطرب لهم.

يتحدث في الفن والأدب، في النوازل والفتن، ويقف من ذلك على شيء يريد أن يُقحمك فيه، أو يرغب في أن يُجاريك عليه.. حتى إذا ما أخذ منه وتمكن، واستولى عليه وتثبت، مرر مشروعه المخبوء، وموقفه المدسوس.

قال عنه رديفه: مُمالق حذق، منافق فطن، يحسب كل صيحة عليه.. لمْ أتبيّن منْ طول صُحبتي له أمنَ الناس هو أمْ منْ غير البشر ؟

"إن المرآة لا تُريك خدوش وجهك في صداها وكذلك نفسك لا تريك عُيوب نفسك في هواها "

***

الجاريـــــــة الخامسة

كان يظهر الشفقة، والحنو البريء من وراء صنائعه وسجاياه، وقوله كل حين : أحبك في الله... وهو منْ هو في تلميع النفس بالتواضع والثقة، وهو منْ هو في نفخ الكير بالهواء بقوة



وكان تحت يديه كثير مَنْ جواريه (الذُكران ؟)، وشخصيته مع مَنْ اطّلع على أحوالها تقول إنها دافئة لاسعة، بل مما بلغ عنها أنها أوْهَم منْ (دونكيشوت)

حدثتني ذات يوم، وتبسمت لي في نور وإشراق، يوم أنْ كان اللقاء على منبر منْ منابر العلم – عفوا البطن – وبدت في وفاء تستنشق الآيات، وتتنفس بالأذكار، حتى انتبهت إليها – ومنْ غريب – أنها تأكل الأكل بالشمال، وأنها مهملة لأوقات الصلاة ...

كان هذا وما مرّ في مثل غمض الطرف، ولعل العين التي حدثتني رأت أنْ تستولي على القلب، فراحت تسرف في تجميل العبارة، وتعذيب اللفظ، وتقوية مجاري الثقة، ولكنْ ..؟ قد نختم فنقول : " **أأنت أخي مالمْ تكنْ لي حاجـــــــــــــــــة"**

***

الجاريـــــــةالسادسة

لمْ يكنْ شيئا مذكورا لولا حرصه... وبيعه المروءة والكرامة بال ثمن، فقد كان يلهث، ومع كل مرة كان يلهث، يستأنس لبعض الوقت بحمقه، فيعود له نشاطه، ويروح يُتمتم: كيف أصل ؟

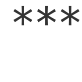


فقد مكث أياما يتردد على الباب، ولبث خلالها زمنا يُفكر، حتى انتهى إلى فمه العظم النخر.

كان يوما انتابه فيه فرح شديد، فراح يفترش - الحين بعد الحين- الرقاب لمنصبه الجديد. فتكاد لا تراه إلا عابسا، وإلا صارخا متصرخا، لو لقيته يومئذ وهو يتسلى بعظمه، لما شعرت بإنسانيته، بل بدا لك خطبه وحراكه أشبه ما يكون بثعلب حقير.

وقرّت عين الحمق بالعظم النتن، وطفقت تتحسسه بشراسة ونهم، إلى أنْ انتُزعَته بغتة، فلم تجد له أثرة ؟

"فقل لمُجي معالي الأمور ** بغير اجتهاد رجوت المحالا"



***

الجاريـــــة السابعة

كثير الصمت، عميق الفكر، جميل السمت، تدلُك سيرته على أنه كان كثير السعي والرحلة. لو رأيته لمَنَيت النفس بصحبته وجواره.. إنه "أرسطو"، بل قلْ هو أستاذ أستاذه.



إذا تكلم في المسائل العظام، انثابك شكٌ غريبٌ : أهكذا كان " أرسطو أو أفلطون" أيامَ زمانه .

-يتكلم في الأيام ويُعرفك بجهد بأنها: الجمعة، السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، ثم الخميس.

-يُديم النظر في قضايا المجتمع، فيقول لك بمنتهى الحلم والعقل: الرَضاعُ من الأمّ للأطفال

-يُجيد حتى مسائل الفلك، فيقول لك هذا قمر وذاك لا شيء.

أما في قضايا اللغة والأدب، فإنه سرعان ما يَثور، وتعرف منه بعد كدّ بأن ثقافته تبور، كالحادي وليس له بعير.

"قال ديمقراطس : عالم معاند خيرٌ منْ جاهل منصف، فقال تلميذه : الجاهل لا يكون منصفا، والعالم لا يكون معاندا" .

***

الجاريـــــــة الثامنة

يتحدى نفسه ليظهر بسمت الرجال، وما ذاك إلا لأنه يعلم أنه في نظر الآخر، خفيف الوزن، قليل الفهم، وافر الاعتراض بلا أدنى علم.



قد بلغ منْ شقوته أنه يذهب ذلك المذهب حتى مع أقرب المقربين، مع صاحب الفضل والنعمة عليه، والده الأسنُ، يأخذ منْ كلامه ويرد، وينسف ما فيه ويتمرد.

إن عينه لشديدة الحرص على الغوص، ليس تفرسا، ولا فضولا، وإنما لحاجة في نفس " يعقوبة ؟ أذكر أنه كلما جالسه أحد صار يتفرج على صناعته العنكبوتية، ويُنصت إلى كلماته الثعلبية.

ولما تشعر به العين الصغيرة، وتعلم أنه لا فائدة لها من صيدها اليوم، تستبدل مشهدها التافه بآخر مثله، وهكذا دواليك عينها في تلون، تبتسم وما ابتسمت، وتُظهر التأسف والأسى، وما تأست وما تأسفت.

***

الرجل الأول

تجده في حياته العامة طيّب المعشر، اجتماعي أكثر من اللازم، يروقه الخير، ويعمل على بذله، عرفته من وقت قد مضى بعَد الأصابع، يفقد صبره، ويغضب لغيره، وغالبا ما يصفح عما اقترف أو كان منه وقد سلف .



وهو في كل أحواله يبذل الجهد لأجل أن يُوَحد بين مظهره

ومخبره، ولكنه سرعان ما يفشل.

إنه من الأشخاص الذين يراقبون في هدوء، إنْ حاولت أنْ تنتقصه حقه،

أو أنْ تفسد عليه يومه،لقنك من فنونه درسا جيدا في البداءة

تشعر حينا بدفئ علاقته، وصراحة قلبه، وما يفرضه على نفسه من

احترام

إنه على كلّ رجل لم تخالط تربته عجمة، يدلك عليه سمته، واساني في موقف قد كنت أقنعت النفس على تركه، لو نظرت إليه لاحتقرته، ولو أطلت النَفَسَ معه لأنصفته.

" الرجل الذي لا يُصطلى بناره "

***

الرجل الثاني

شخصية تبرز في ثنايا المجالس، وتتضح فيها بجلاء سافر، نقاوة الثوب، وطهارة الرأس، غير آبهة بالمفاسد مع كثرتها وتوسعها بشكلها الفاحش.

رأيتها تُجهد النفس لتبقى كذلك، أيام ما تكون حاضرة بظلها بين أقرانها من الرجال والجواري (الذكران)

أو حتى حين تتقلب سماء المجالس التي هي فيها، وتصير تُمطر بالحلال والحرام .

إنها ببساطة: شخصية تستمسك بحبل الرجولة، لتظهر بمظهر الرجال، وقد أوهمها هذا الاهتمام، من أنها أقل شأنا من ذاك، تعامل الجواري الذكران معها، وحكمهنّ على مكانتها.

فقد نشأ في ذهن الرجل أنه شخصية بالتبعية، عاجز على أنْ يكون بينها ذا كعب وقامة، وليت شعري متى كانت الجواري مقياسا لما يفتقد ؟

وأمام هذا الذي يجد، ويحن له ويكابد، أكسبته الجواري فكرة عن نفسه، لا تتطابق مع سمته، وزادت رعاية الجواري له بأنه : عبد الوفاء، عشاق الخير، محب الناس، الصارم العدل ...

فأذهبت البطنة عقل الرجل حتى مدّت العيوب عُنُقَها من تحت عباءته البيضاء. والناس من حوله في ذهول يقولون :

أبه تفاهة أمْ إغفال؟ أمْ به سفاهة أمْ صَغار ؟

***

الجارية التاسعة

شمّر على ساعديه، وراح يتكلم بمنطق ووقار، ولا منطق له ولا وقار، وملأ المجلس بكلام فضفاض حتى ضاق به السمع، وبدا المجلس في سكون لأنه مغتاض.



وكان المتكلم بفلسفة العوام يرقب الحين بعد الآخر جلساءه، منْ أعد لأجلهنّ حسن الكلام، وصنعه لهنّ في لباقة وجمال .

وما أن انتهى من نفخ الهواء، رمى الكلمة إلى جلسائه، وقال فيما ظنّ أنه من التواضع : الآن قد آنَ لكم أنْ تعقبوا أو أنْ تسددوا...

لكنْ لا أحد قد عقب، أو ساورته نفسه ليسدد أو يصوب، بل انقلب المجلس إلى هتاف وصخب، ودب المزاح والضحك... وهكذا دائما المشمر لا تصقله التجارب، يستهل حديثه بوقار مسلوب، ثم يرمي السهم صوب الهدف بلا صواب .